216275 ـ هل يفهم من قوله تعالى : (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) أن الله هو الذي خلق لنا السفن ؟

السؤال

هل يفهم من قوله تعالى : (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) أن الله هو الذي خلق لنا السفن ؟ بينما كنت أقرأ في القرآن الكريم مررت بالآية 42 من سورة يس : (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) ففهمت منها أن الله خلق لنا السفن ، وهذا أمر محير ؛ لأن الله لم يخلق السفن على وجه الحقيقة ، بل نحن من صنعها ، حتى سفينة نوح الشهيرة بناها نوح عليه السلام .

فما معنى هذه الآية إذاً ؟ هل خلق الله السفن حقاً ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى : (وخلقنا لهم من مثله) ، فقال بعضهم – وهو المشهور ـ : وخلقنا لهم من مثل سفينة نوح ، سفن ومراكب يركبون عليها في البحر ، وقال آخرون المراد بالآية : الإبل ، خلقها الله للركوب عليها في البر .

قال ابن الجوزي رحمه الله : " قوله تعالى : (وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ) فيه قولان :
أحدهما : مِثْل سفينة نوح ، وهي السُّفُن ، روى هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وبه قال الضحاك ، وأبو مالك ، وأبو صالح .
والمراد بهذا : ذِكْر مِنَّته بأن خَلَق الخشب الذي تُعْمَل منه السُّفُن .
والثاني : أنها الإبل ، خَلَقها لهم للرُّكوب في البَرّ مثل السُّفُن المركوبة في البحر ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، وعن الحسن وقتادة : كالقولين " .
انتهى من " زاد المسير " (3/ 525) .

وعلى المعنى الأول ، أن المراد بذلك : السفن المعروفة ، تكون إضافة خلق السفن لله جل وعلا من باب : أن الله خالق كل صانع وصنعته ، فهو سبحانه كما خلق الإنسان ، فقد خلق صنع ذلك الإنسان وفعله ، كما قال تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) سورة الصافات /96 ، وروى البخاري في " خلق أفعال العباد " (ص/ 46) عن حذيفة رضي الله عنه قال النبي صلى

الله عليه وسلم : (إن الله يصنع كل صانع وصنعته) ، وتلا بعضهم عند ذلك : (والله خلقكم وما تعملون) الصافات/ 96 ، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة ؛ فهو سبحانه خالق العباد ، وخالق أعمالهم ، وخالق المادة ، وخالق الصورة ، سبحانه .

قال ابن القيم رحمه الله في تقرير ذلك ، وبيان أن آية خلق الفلك ، نظير الآية المذكورة ـ (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) ـ :

" نظيره من الاستدلال سواء قوله : وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ .

والأصح : أن المِثْل المخلوق هنا هو السفن ، وقد أخبر أنها مخلوقة ، وهي إنما صارت سفنا بأعمال العباد .

وأبعد من قال : إن المثل هاهنا ، هو سفن البر ، وهي الإبل ؛ لوجهين :

أحدهما: أنها لا تسمى مِثلا للسفن ، لا لغة ولا حقيقة ؛ فإن المثلين ما سد أحدهما مسد الآخر ، وحقيقة المماثلة : أن تكون بين فلك وفلك ، لا بين جمل وفلك .

الثاني : أن قوله: وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ عقب ذلك : دليل على أن المراد الفلك التي إذا ركبوها قدرنا على إغراقهم ؛ فذكَّرهم بنعمه عليهم من وجهين : أحدهما: ركوبهم إياها ، والثاني: أن يسلمهم عند ركوبها من الغرق " انتهى من " بدائع الفوائد " (1/152) .

وذهب بعض أهل العلم : إلى أن الإضافة من باب أن الله هو الذي علم الإنسان صنع مثل تلك الأشياء ، فناسب أن تضاف له سبحانه وتعالى .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " خلق لهم من مثل هذه الفلك ما يركبون ، كما قال تعالى : (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) ، فالناس تعلموا كيف يصنعون السفن ، وصاروا يصنعون مثل هذه السفن ، ولعل قوله تعالى في سورة القمر : (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) ، فيها الإشارة إلى مواد هذه السفينة أو الفلك ؛ لأجل أن يتعلم الناس ؛ لأنه لم يقل (حملناه على فلك) ، بل قال : (عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) كأنه يقول : إن هذه الفلك مصنوعة من الألواح والمسامير ، حتى يتعلم الناس مواد هذه الفلك ..... ، قال المؤلف – يعني : جلال الدين المحلي ـ رحمه الله : (بتعليم الله تعالى) إشارة إلى سؤال مقدر ، كأنه قال : كيف قال تعالى : (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ) ؟ وهذه السفن مصنوعة بأيدي البشر ، وليست بخلق الله كخلق البعير التي نركب والفرس وما شابهها ؟ فأجاب المؤلف : بأن الله تعالى أضاف خلقها إليه ؛ لأنها كانت بتعليمه سبحانه وتعالى " انتهى من " تفسير القرآن الكريم ـ سورة يس لابن عثيمين " (ص/155) .

والله أعلم .